مارد العصر الجديد

« . . . إن أمامنا اليوم أن نختار بين أن نكيف مجتمعنا على أساس عالمي ، حتى لا تأتي الحروب ثانية ، أو أن نتبع العادة القديمة البالية ، وهي عادة دفاع كل شعب عن نفسه ، والتي إذا سرنا بها إلى نتيجتها الحتمية المنطقية ، لا بد أن تنتج صراعاً يؤدي بنا إلى الكارثة . . . »

مارد العصر الجديد

إن ملايين من سكان هذا الكوكب يضجون اليوم بانفعالات متباينة لظهور ذلك المارد الجبار ، الذي أمسك بيده الصولجان وجلس على عرش العالم يتحكم ويسيطر ، ذلك المارد الذي أطلقه العلماء بعد جهد طويل من قمقم المجهول ليفتح أمام أنظارهم الأسرار المغلقة . فمن تراه ذلك المخلوق المثير ؟ إنه القوّة الجديدة الباهرة . قوّة الذرّة ، التي أطلق سراحها في معامل العلم والمعرفة لتعلن بدء عصر جديد .

ويظهر أن ذلك الحاكم الجديد كان يحمل في صدره حقداً هائلاً من أجل أسره الطويل فأقسم في سريرته بينه وبين نفسه ليكونن أداة تدمير وهلاك ووبال على العالم ، لدى اللحظة التي يطلق فيها سراحه . فما أن أنشقه العلماء هواء الحرية وأخرجوه من قمقمه العتيق حتى انحنى هاكراً في لؤم ، وقدّم إليهم وفي عينيه نظرات ساخرة خادعة طافة من أزهار الشرّ ألقوها على هيروشيما ونجازاكي فأهلكت ودمرت وقتل شذاها وأعمى به أشعة الموت أي « أشعة جاما » آلافاً من المخلوقات البشرية .

وقد أعلن ذلك المارد في زمجرة عاتية وهو يقلب السجل التاريخي لهذا العالم ويتربع على عرشه في سماء الانسانية التي لطخها بالدماء وأشعلها بالنيران ان سكان هذا الكوكب قد ولجوا ، بظهوره ، باب عصر جديد . هو العصر الذرّي عصر المردة والجبابرة ، الذي سلب الطمأنينة نفوس البشر وأقعدهم على فوهة بركان قلق لا يدري أحد متى يفاجئهم بالثوران وقذف الحمم المكتسحة الماحية .

وقد يتساءل البعض هلاّ كان من الممكن إبقاء ذلك المارد المشئوم في قمقمه وعدم إطلاقه من عالم المجهول كما كانت الحال طوال الأجيال والأحقاب الغابرة ؟ فأجيب بأنه لم يكن هناك بدٌّ من أن يمتلك الجنس البشري النار الذرية ويسير في الطريق التي رسمتها له يد القدر ، متطوّراً مع الزمن .

ونحن إذا نظرنا الى النموّ الهائل في العلم والبحوث العلمية لوجدنا أن ذلك النمو هو الخط الأساسي لتطوّر الانسان الى مخلوق اجتماعي جماعته هي العالم ، وليس إطلاق الطاقة الذرية إلاّ خطوة دراماتيكية في هذا التطوّر . إنها جزء من بحوثنا المعمرة لاستخدام قوى الطبيعة لتشكيل العالم وفق رغباتنا . ! !

أجل . لم يكن لدى إنسان القوّة على منع حلول العصر الذرّي وكان الاختيار الوحيد هو هل توضع تلك القوى الجديدة في أيدي الشعوب التي كانت تحارب لتحتفظ بحرياتها أو أن تستخدم بأيدي جماعة أخرى من الأمم لتسلح نفسها بالقوة الذرية . وكان هناك خوف عام من أن تلك الجماعة الأخرى قد تكون عدوّا غرضه استعباد العالم ، وبذا فإن الغريزة الشديدة لحفظ النفس كانت هي المسؤولة عن توفير الطاقة الذرية ، ربما عشر سنوات أو عشرين سنة أبدر من الزمن الطبيعي الذي كان مقدراً لها أن تأتي فيه . وعلى ذلك فان هدية الطاقة الذرية قد أهديت ، أول ما أهديت الى الشعوب التي نأمل أنها تدري مسئولياتها تجاه الجنس البشري فتستخدم هذه القوّة الجديدة أحسن استخدام .

وإن الانفجار المروّع الذي حدث في هيروشيما قد هزّ العالم وأعده أن الكارثة تبدو أمامه في الطريق إذا لم تمح كلمة الحرب من قاموسنا . ذلك الخوف الهائل قد خففه ، بعض الشيء ، الأمل في أن الطاقة الذرية قد تساعد مساعدة عظمى في رفاهية الحياة الانسانية إذا أعطيت الفرصة لذلك .

إن أمامنا اليوم أن نختار بين أن نكيّف مجتمعنا على أساس عالمي حتى لا تأتي الحروب ثانية أو أن نتبع العادة القديمة البالية ، وهي عادة دفاع كل شعب عن نفسه ، والتي إذا سرنا بها الى نتيجتها الحتمية المنطقية لا بدّ أن تنتج صراعاً يؤدي بنا الى الكارثة . !!

إن في يدّ البشر اليوم سلاحاً هائلاً له الأسبقية في قوّة التدمير ، وإن المعرفة بوجود ذلك السلاح وطرق إنتاجه لا يمكن أن تفقد ، ولا يمكن أن ترتد ثانية الى مملكة المجهول . فالقنابل الذرية يمكن صنعها في كميات عظيمة وأرخص من غيرها من الأسلحة الهدّامة (هذا بمقارنة القوة الهدّامة المدمّرة لها ولغيرها من الأسلحة) وليس هناك ثمة دفاع تجاهها .

وإن القنبلة الذرية بالنظر الى تأثيرها المتزايد الهائل الذي يجعل كل وسائل الدفاع.

المعروفة والمتوقعة في المستقبل ، عديمة الفائدة والتأثير ، لا يحسن بنا أن ننظر إليها على أنها ليست سوى سلاح حربي جديد . لقد اخترعت في الماضي أسلحة جديدة متباينة وفي حالات عديدة زادت كثيراً في تدعيم الهجوم وتقوية نتائجه بالمقارنة الى وسائل الدفاع ولكن أثر وسائلنا الدفاعية الحاضرة ضد القنابل الذرية لا يعدو ما يمكن أن يقوم به جيش روماني مسلح بالرماح والأسهم والدروع ضد جيش حديث مجهز بمدافع ميكانيكية . فالأسلحة الذرية يمكنها أن تدمر كل وسائل الدفاع التي يمكن أن نتدعيها في الزمن الحاضر .

لقد تمت في القرن التاسع عشر عناصر الانتاج الآلي ودقائقه العملية ثم تحسنت واستفيد منها استفادة كبيرة في أغراض السلام خلال هذا القرن حتى إننا نجد أن كل ما يستعمله الانسان في أمة مثل الولايات المتحدة ينتج بالطرق الآلية التي تمتاز بالانتاج الضخم ، وبغير هذه الطرق ما كان يمكن التوصل الى مستوى المعيشة المرتفع المتوفر في تلك الأمة ، كما أنه في كل أمم العالم التي تملك موارد معقولة يمكن أن تساعد تلك الطرق في رفع مستوى المعيشة إلى حدّ كبير . وفي خلال القرن الحاضر تمت كثير من الاكتشافات العلمية والهندسية التي ساعدت كثيراً في تحقيق ذلك المستوى المرتفع للحياة .

ولكننا نجد لسوء الحظ أن طرق الانتاج الضخم والاكتشافات العلمية قد استعملت أيضاً لأغراض الحرب . ومن المنطق أنه لكي نطبق اكتشافاً علمياً لغرض خاص يجب أن تتاح لنا الفرصة لتجربته عملياً . وقد أتاحت لنا الحرب العالمية الأولى أول فرصة لتكييف طرق الانتاج الضخم لأغراض الحرب . ولكن صراع سنة ١٩١٤ لم يتعد المنهاج الأولى في فن التدمير الضخم . أما الحرب العالمية الثانية فقد أعطت الفرصة للمنهاج المتقدم ، وفي نهايتها كانت الدروس قد درست دراسة وافية وكان الانسان قد وصل إلى مرتبة النبوغ في هذا الفن الشيطاني الجحيمي .

إننا نملك اليوم المعرفة العلمية والموهبة الهندسية والتجربة والطرق الصناعية لعمل الحرب على أساس إنتاجي ضخم حقيقي . إن حرباً أخرى ستختلف عن الحرب الأخيرة بنفس الدرجة التي تتباين بها سرعة سيارة حديثة من سرعة جواد أو عربة حنطور ! . إن حرباً أخرى سيبلغ نجاحها من وجهة النظر التدميرية درجة هائلة حتى إن قليلاً جداً من الأسس الطبيعية

والانسانية لمدنيتنا ستترك في عنان الزمن ، ذلك لأننا نملك اليوم القنبلة الذرية وربما ملكنا أسلحة أخرى لم ينتبه إليها الناس بعد . وفي المستقبل فان هذه الأسلحة إذا انتجت على أساس الانتاج الضخم فانها ستحيل الحرب غير محتملة لجميع سكان العالم. وليس معنى هذا أن الحرب لن تأتي ولكنها تعني أن الحرب لن تمكث طويلاً من جراء التدمير الهائل الواسع النطاق الذي سيتم بسرعة وتدبير .

وما زالت الأكثرية من الناس تصدق أنه سيكون هناك دائماً وسيلة للدفاع ضد أي سلاح . وإذن فسيكون هناك دائماً استثناء لمثل تلك القواعد العامة التي لا تستند على أساس ..

وإنا إذا نظرنا الى الأسلحة المتباينة التي استخدمها الجنس البشري في تفاحته خلال تاريخ حياته على هذا الكوكب لوجدنا أن الأسلحة تختفي من الميدان الحربي إذا حلت محلها أسلحة أخرى فائقة في تأثيرها ولكنها طوال الزمن الذي تستخدم فيه في الحرب فانها تنتج ضرراً حقيقيًّا رغماً عن وسائل الدفاع، وأن ذلك الضرر يتناسب مع قدرتها على احداث الضرر . فمثلاً هل هناك وسيلة للدفاع ضد الغواصات ؟ نعم ، ولا شك في ذلك ، ولكنها دمرت جزءاً كبيراً من سفن العالم خلال الحرب الماضية . هل هناك دفاع ضد القذائف ؟ ربما ، ولكنها قتلت كثيراً من البشر في الحرب الماضية . وهل توجد وسائل دفاعية ضد الطائرات ؟ بلا شك ، هناك وسائل دفاعية معروفة . ولكن الولايات المتحدة وحدها بين كبار الدول المتحاربة في الحرب العالمية الثانية هي التي نجت من الضرر البالغ والتدمير الهائل لمدنها .

ويمكن الإجابة بإجابات متشابهة لأسئلة مماثلة عن الدبابات والسفن الحربية وغيرها من الأسلحة الكبيرة والصغيرة .

وحين تستحدث أسلحة أعظم من القنابل الذرية في قوتها التدميرية الهدامة فإن الأخيرة لن تستعمل . ولكن ستستمر طوال الزمن الذي تستعمل فيه في تدمير أميال مربعة عديدة لكل قنبلة تنفجر . وإن هذا السلاح الجديد متباين عن الأسلحة القديمة فلا يوجد هناك دفاع عسكري تجاهه ولا يمكن أن يتم مثل هذا الدفاع . وإن في إمكان القنابل الذرية أن تهدم العالم وستفعل ذلك إذا استخدمت في حرب أخرى .

إن طرق الإنتاج الضخم التي لدينا والتي تمدنا بمستوى حياتنا المرتفع وبعرباتنا ومصانعنا القوية ومنتجاتنا الكيميائية وتصميماتنا الكهربية . الى آخره ، تجعل من الإمكان إنتاج القنابل الذرية في أعداد كبيرة وبثمن بخس . وفي الحقيقة أن الحرب ستكون في المستقبل رخيصة من وجهة نظر إنتاج الأسلحة واستعمالها ، ولكنها ستكون مبهظة من وجهة نظر التدمير الذي ستلحقه بالبشرية . وإن رخص السلاح الذري بالنسبة الى قوته التدميرية يجعل من الضروري تعاون جميع الأمم وتشابكها .

إن السجل التاريخي لهذا العالم يمر بمدنيات قامت وسقطت . وإننا جميعاً نذكر أمثلة لتلك امبراطورية بابل والمدنية المصرية القديمة والامبراطورية الرومانية . فهل نتوقع أن المستقبل سيشهد قياماً وسقوطاً ؟ . إن الوسائل العملية التي أعتها المدنية الأوروبية . والتي تدخل في نطاقها أمريكا . قد تكون سبباً في الزوال التام لتلك المدنية . فالبشرية اليوم تواجه أخطر مشكلة واجهتها في كل تاريخها الطويل .